وما سواها (310)

الإنسان والإنسان!! (1)

د. صادق السامرائي
الطب النفساني، العراق / أمريكا

الإنسان قوة , والإنسانية طاقة إيجابية لتأكيد الخصال السلوكية النبيلة السامية , والإرادات الإصلاحية التنويرية بأنواعها تهدف للإرتقاء بالبشر إلى آفاق إنسانيته , ذات قيمة تفاعلية تساهم في تطوير مفردات البقاء والتواصل الحضاري.

ويواجه المسير نحو فضاءات الإنسانية الرحبة عقبات تقودها النفوس الأمّارة بالسوء , الساعية للتحرر من الروادع والراغبة بالإنفلات , لتتأسد وتعبر عن وحشيتها وشراستها المطمورة في الأعماق.

وهذه محاولات إقترابية من زوايا متنوعة.

الإنسان قوة , والإنسانية طاقة إيجابية لتأكيد الخصال السلوكية النبيلة السامية , والإرادات الإصلاحية التنويرية بأنواعها تهدف للإرتقاء بالبشر إلى آفاق إنسانيته

يواجه المسير نحو فضاءات الإنسانية الرحبة عقبات تقودها النفوس الأمّارة بالسوء , الساعية للتحرر من الروادع والراغبة بالإنفلات , لتتأسد وتعبر عن وحشيتها وشراستها المطمورة في الأعماق

في هذا القرن نهضت قوى ذات قدرات متقاربة وطاقات هائلة وإمكانيات إختراعية مذهلة , فأصبحت البشرية أمام إمتحان صعب عليها أن تنجح فيه وتتخطى رؤية الهيمنة والإنفراد بالسيادة الأرضية

الخيار الأمثل الذي على البشرية أن تتخذه هو التفاعل الإيجابي , الذي يقضي بضرورة بناء الدولة الإنسانية ذات القدرة على تسيير أمور البشرية بما يحقق المصالح المشتركة

ما عاد مقبولا ولا صائبا أن تتعرى الحياة أمام البشر , ويرى الفوارق الكبيرة والتفاوتات المروعة ما بين سكان الأرض

أولا: دولة بني الإنسان!!

الأرض ومنذ فجر التأريخ محكومة بقوة مهيمنة تخضع لإرادتها القوى الأخرى وتدور في فلكها إلى حين , وتأتي بعدها قوة نمت في رحمها وإستثمرت في أخطائها وعثراتها فابتلعتها وأسست وجودها على ركامها.

وقد مرت الأرض بموجات متلاحقة من الهيمنة المطلقة لقوة ما على ما فيها من الموجودات , وجميعها ذات أعمار معينة وقدرات محدودة تستنفذها وتغيب بعدها , وهذه المتوالية التفاعلية إستمرت وتأججت إلى ذروتها في القرن العشرين , وتواصلت في سعيها في القرن الحادي والعشرين الذي يتميز عن غيره من القرون بالثورة المعلوماتية والإتصالية الهائلة المتسارعة التطورات , والتي حولت الوجود البشري إلى وحدة متكاملة ومتفاعلة لا تعرف الحدود.

وفي هذا القرن نهضت قوى ذات قدرات متقاربة وطاقات هائلة وإمكانيات إختراعية مذهلة , فأصبحت البشرية أمام إمتحان صعب عليها أن تنجح فيه وتتخطى رؤية الهيمنة والإنفراد بالسيادة الأرضية , وهذا يعني أن البشرية على مفترق طرق , فأما أن تختار طريقا لم تسلكه من قبل , أو أنها ستمضي في الطرقات المسلوكة سابقا , والتي لا تتوافق وإرادة العصر ومقتضيات المكان والزمان الأرضي , مما قد يدفعها نحو الهاوية المريرة.

لكن الخيار الأمثل الذي على البشرية أن تتخذه هو التفاعل الإيجابي , الذي يقضي بضرورة بناء الدولة الإنسانية ذات القدرة على تسيير أمور البشرية بما يحقق المصالح المشتركة , فما عاد مقبولا ولا صائبا أن تتعرى الحياة أمام البشر , ويرى الفوارق الكبيرة والتفاوتات المروعة ما بين سكان الأرض في

بقاعها المختلفة.

أي أن مفهوم الدولة الصغيرة ما عاد نافعا للبشرية , وعليها أن تسير نحو الدولة العالمية الإنسانية , التي يكون فيها الإنسان قيمة عليا , وتدين بالإنسانية ولا دين سواها في عرفها الجمعي , أما المعتقدات والتصورات والرؤى والإنتماءات , فهذه من شأن البشر أيا كانت ولا علاقة لها بالدولة الإنسانية , التي ستتحقق رغما عن القوى المعاكسة لها.

فالدولة الإنسانية حتمية وليست خيارا , لأن البشرية لا يمكنها أن تتواصل وتحافظ على وجودها فوق الأرض إلا بها , أما بدونها فأن الصراعات ستنهكها وتصيبها بإضطرابات دورانية تمحق ما عليها من الموجودات.

فهل أن الدولة الإنسانية ستتحقق في القرن الحادي والعشرين , أما أن الحياة ستنتفي فيه؟!!

ثانيا: لا تقل أنا إنسان!!

في زمن الديمقراطية المستوردة من سوح الغاب المعاصرة , والتي لا تمت بصلة إلى ديمقراطيات المجتمعات المتحضرة , فهي ذات مميزات تخاصمية وتصارعية وتدميرية , ولا يمكنها أن تكون إلا وعاءً لسفك الدماء وتنتمية العنف والخراب , وترفع الدين شعارا وتبرر به الآثام والخطايا والجرائم ضد الإنسانية.

وهي ديمقراطية الحرمان من الماء والكهرباء وإنتشار الفساد والإفساد , ورهن العباد وقهرهم بالحاجات وقطع الأرزاق والتشريد والترويع والإهلاك.

ديمقراطية الأرقام , فلا يمكن للبشر فيها أن يطالب بحقوقه على أنه إنسان , فإن تجرّأ على ذلك , قيل أنه مندس ومتآمر ومن أزلام أنظمة سابقة , ومن الذين يعادون الديمقراطية ويترجمون عقائد الهلاك.

ديمقراطية بشر يعتاش على النفايات , ويفتقد لأبسط الخدمات , والقائمون على أمره في عز ورفاه وثراء ومحميات ذات ألوان , والكراسي تتعبد في محاريب ساداتها الداعمين لوجودها والممولين لسوء سلوكها المشين.

إنها ديمقراطية ذاق فيها العرب أبشع الويلات وداهمتهم التداعيات والملمات من كل حدب وصوب , ومسيرات تفاقم الصعوبات والمعانات تتكالب عليهم , وعليهم أن يقروا ويؤمنوا بأنهم أرقام لا غير.

والدليل على أنهم أرقام , تؤكدها وسائل الإعلام العربية والعالمية , فعندما يموت الآلاف من العرب تحت الأنقاض يُشار إليهم برقم كذا وكذا وينتهي الخبر , لكن عندما تاه إثنا عشر صبيا في كهف تايلندي , أقيمت الدنيا ولم تقعد حتى تم إنقاذهم , ولو حصل ذلك للعرب لكانوا نسيا منسيا , ولقال العرب أنفسهم يرحمهم الله.

تلك حكاية ديمقراطية الأرقام البشرية , بينما الديمقراطية الحقيقية إقرار مطلق بإنسانية البشر وقيمته العليا , ومادام العرب متمحنون في متواليات الأرقام , فأن الديمقراطية من أضغاث أحلامهم وسرابات أيامهم التنورية الطباع والعنوان.

فهل سيرتقي العربي إلى مقام إنسان لكي يقر المجتمع الدولي بحقوقه ويهب لنجدته , أم إن العرب يستلطفون دور الأرقام , فحتى الكراسي في دنيا العرب أرقام تحت رحمة العمليات الحسابية التي تريد الوصول إلى نتيجة أكبر , وفقا لمعادلات مصالحها النشيطة الفاعلة بحرية وديمقراطية غير مسبوقة.

في بقاعها المختلفة.

أن مفهوم الدولة الصغيرة ما عاد نافعا للبشرية , وعليها أن تسير نحو الدولة العالمية الإنسانية , التي يكون فيها الإنسان قيمة عليا , وتدين بالإنسانية ولا دين سواها في عرفها الجمعي

الدولة الإنسانية حتمية وليست خيارا , لأن البشرية لا يمكنها أن تتواصل وتحافظ على وجودها فوق الأرض إلا بها

هل أن الدولة الإنسانية ستتحقق في القرن الحادي والعشرين , أما أن الحياة ستنتفي فيه؟!!

ديمقراطية الأرقام , فلا يمكن للبشر فيها أن يطالب بحقوقه على أنه إنسان , فإن تجرّأ على ذلك , قيل أنه مندس ومتآمر ومن أزلام أنظمة سابقة , ومن الذين يعادون الديمقراطية ويترجمون عقائد الهلاك

إنها ديمقراطية ذاق فيها العرب أبشع الويلات وداهمتهم التداعيات والملمات من كل حدب وصوب , ومسيرات تفاقم الصعوبات والمعانات تتكالب عليهم , وعليهم أن يقروا ويؤمنوا بأنهم أرقام لا غير

عندما تاه إثنا عشر صبيا في كهف تايلندي , أقيمت الدنيا ولم تقعد حتى تم إنقاذهم , ولو حصل ذلك للعرب لكانوا نسيا منسيا , ولقال العرب أنفسهم يرحمهم الله.

تلك حكاية ديمقراطية الأرقام البشرية , بينما الديمقراطية الحقيقية إقرار مطلق بإنسانية البشر وقيمته العليا

فآهٍ على الأرقام المؤهلة للطرح والإنقسام!!

ثالثا: كيف يتحول البشر من رقم إلى إنسان؟!!

البشر له الخيار في أن يكون رقما أو إنسانا , ولا يلومن إلا نفسه ومجتمعه ومَن معه , فالتحول إلى رقم إرادة فردية وجماعية وكذلك التحول إلى إنسان.

ومن أمثلة التحول إلى أرقام أن يكون البشر رهينة لهذا وذاك من الرموز والمسميات والتصورات , فتجده مرهونا بعمامة ولحية وكرسي وفئة وغيرها من التوصيفات الإستعبادية , التي تجعل البشر رقما على جهة يسار المتحكمين بمصيره , والذين يمحقونه أنى يشاؤون ويجمعونه ويطرحونه ويقسمونه ويضربونه , وفقا لمقتضيات مصالحهم ونوازع نفوسهم وما تكنزه من مطمورات دونية.

فالبشر الذي يتحرك كالروبوت لكلمة أو لرأي مدّعٍ بدين عليه أن يقر بمسؤوليته عن قهره وظلمه , لأنه قد طلق ذاته بالثلاث وباع نفسه لممتهنيه وقاهريه والمتاجرين به.

ومن سلوك البشر الأرقام الإرتضاء بحياة ذليلة مهينة قاسية , وفقا لما يضخه في وعيه المرهون بهم من أكاذيب وخداعات وأضاليل ووعود بأمنيات لا تتحقق إلا في الموت , وما من أحد يدري بها ويعلم.

فالذين يرتضون العيش محرومين من الماء والكهرباء وأبسط الحاجات , ومقبوض على مصيرهم ببطاقة تموينية يُسرق نصف ما فيها , ويتواصلون ويعينون المارقين والفاسدين , ما هم إلا أرقام وتوابع لأشخاص يمررون مصالح الآخرين , وما تساءل الواحد منهم كيف يعيش هؤلاء الذين يرتهنون بهم , هل يعرفون معنى الحرمان من الكهرباء في شهر تموز وآب , وهل يعرفون معنى الحاجات؟!

إنهم مترفون متخمون ومترفهون , والأرقام من حولهم تتراكض وتصفق لهم وتقدسهم وربما تعبدهم , وتحسب قولهم أمرا وواجبا , فما يقولونه يستوجب التنفيذ , وأنه لأمر مقدس يوصل الأرقام إلى جنات الخلد والنعيم , التي يصورونها لهم على أنها الهدف والغاية , وما الحياة الدنيا إلا عبث وإمتحان ونقمة وعذاب , وعليهم أن يتعذبوا ويُقهروا لكي ينالوا نعيم الآخرة , وهم أي الذين يستعبدونهم لهم جنات الدنيا والآخرة!!

وعندما نتأمل هذه الصور السلوكية التفاعلية ما بين البشر , تتضح حقيقة الوجود الرقمي للناس وإغفالهم لدورهم الإنساني , الذي يوجب عليهم أن يتحقق التفاعل فيما بينهم على أنهم موجودات ذات قيمة كبيرة ودور مهم في صناعة الحياة , وأن العبودية لا تكون إلا لخالقهم العظيم , وأن الجميع سواسية في الحقوق والواجبات , ولا يجوز لأحد أن يعلو على أحد إلا بالجد والإجتهاد والعطاء الإنساني النبيل.

وتجد أمثلة كثيرة على البشر الإنسان في المجتمعات المعاصرة , التي ينال فيها الناس حقوقهم ويعبرون عن تطلعاتهم , ويمنحون الحياة خلاصة ما عندهم من القدرات والطاقات والإبداعات الأصيلة.

كنت بزيارة لفلاح سويسري في مزرعته , وتشعب الحديث بيننا , وعندما سألته عن وجود الدببة ومخاطرها من حوله , قال أنها نادرة وكان قبل أعوام دب أسود إسمه كذا , وعندما قتلته الشرطة حصلت ضجة كبيرة وإستياء لقتل الحيوان , وأضاف , عندها أدركت السلطات المحلية أن منح الدب إسما يتسبب بإثارة المشاعر , ولهذا تقرر منح أي دب في المنطقة رقما لأن قتل الرقم لا يثير مشاعر الناس!!

تأملت قوله وتداعت أمامي أرقام القتلى يوميا من العرب , التي تتداولها وسائل الإعلام فلا تثير

هل سيرتقي العربي إلى مقام إنسان لكي يقر المجتمع الدولي بحقوقه ويهب لنجدته , أم إن العرب يستلطفون دور الأرقام

البشر له الخيار في أن يكون رقما أو إنسانا , ولا يلومن إلا نفسه ومجتمعه ومَن معه , فالتحول إلى رقم إرادة فردية وجماعية وكذلك التحول إلى إنسان

البشر الذي يتحرك كالروبوت لكلمة أو لرأي مدّعٍ بدين عليه أن يقر بمسؤوليته عن قهره وظلمه , لأنه قد طلق ذاته بالثلاث وباع نفسه لممتهنيه وقاهريه والمتاجرين به.

من سلوك البشر الأرقام الإرتضاء بحياة ذليلة مهينة قاسية , وفقا لما يضخه في وعيه المرهون بهم من أكاذيب وخداعات وأضاليل ووعود بأمنيات لا تتحقق إلا في الموت , وما من أحد يدري بها ويعلم

أن العبودية لا تكون إلا لخالقهم العظيم , وأن الجميع سواسية في الحقوق والواجبات , ولا يجوز لأحد أن يعلو على أحد إلا بالجد والإجتهاد والعطاء الإنساني النبيل

إن تحول البشر إلى إنسان يتطلب إعتزازا بالكرامة , وتمسكا بالحقوق والواجبات والشعور بالمسؤولية والوعي والمعرفة , وعدم الخنوع والتبعية والإستسلام لذوي العاهات السلوكية , الذين يزينونها بالدين والعقيدة وغيرها من الخداعات والأضاليل السلوكية.

تحول البشر من رقم إلى إنسان نراها واضحة في مجتمعات الدنيا المتقدمة , لوجود القوانين التي تصون حقوقه

مشاعر المستمعين والمشاهدين , لأنها أرقام مهما زادت أو نقصت فأنها تبقى أرقاما!!

إن تحول البشر إلى إنسان يتطلب إعتزازا بالكرامة , وتمسكا بالحقوق والواجبات والشعور بالمسؤولية والوعي والمعرفة , وعدم الخنوع والتبعية والإستسلام لذوي العاهات السلوكية , الذين يزينونها بالدين والعقيدة وغيرها من الخداعات والأضاليل السلوكية.

تحول البشر من رقم إلى إنسان يعني الحرية الكاملة فيما يراه ويعتقده ويتصوره , وأن يحترم غيره ويتفاعل معه بأليات إيجابية تساهم في تنمية الخير والمحبة والقوة والإقتدار التفاعلي والإبداعي.

تحول البشر من رقم إلى إنسان نراها واضحة في مجتمعات الدنيا المتقدمة , لوجود القوانين التي تصون حقوقه وواجباته وحمايته , ولديه الحق الكامل في المشاركة بتقرير مصيره ولعب دوره في بناء الحياة الحرة الكريمة , بعيدا عن أي ضغط أو تأثير , وفي جميعها لا يمكن للبشر أن يكون مرهونا بشخص مدّعٍ بدين أو يرى أنه يمثل دين.

ويبقى حق الإختيار وتقرير المصير إرادة ذاتية وفردية وجماعية.

فلا تلومن الآخرين لإمتلاكك , ما دمت قد إرتضيت أن تبيع نفسك وتكون رقما تحت رحمة الفاسدين!!

فهل للبشر أن يرتقي إلى مصاف إنسانيته؟!!

رابعا: قيمة الإنسان ورد فعل الإهتمان!!

الإنسان يجب ان يتحسس قيمته النفسية الذاتية , لكي يساهم في التفاعلات الإيجابية والتواصلات الصالحة , الكفيلة بتعزيز الشعور بالقيمة والدور ومعنى الحياة وحرارة الوجود النابضة فيه , وعندما يفقد الإنسان قيمته ينتهي في متاهات مدمرة لِما فيه وحوله.

فالقيمة حالة نفسية بقائية أقوى من أية طاقة كامنة في البشر , تؤهله لإنجاز مشاريع كينونته وأسباب إبادته أو إنتحاره الذاتي والموضوعي.

ويمكن القول بأن معظم المخاطر التي تعاني منها البشرية لها علاقة بفقدان الإنسان لقيمته , أو إنكار قيمته ودوره ومعناه , وتحويله إلى شيئ أو رقم.

ومن المعروف أن ما يفرق ما بين البشر والحيوان , هو هذا الشعور بالنفس , بل حتى الحيوان بحاجة للشعور بقيمته وأهميته ودوره , فالكلبة التي يجعلها صاحبها تشعر بأنها بلا قيمة وأهمية تغضب , وتنبح وتتغير طباعها وملامحها وسلوكها معه , فتتحول من رؤوفة مداعبة إلى عدوانية الطباع والتفاعلات معه وربما تهجم عليه وتعضه.

ولكل إنسان هوية ذاتية على ضوئها يرى قيمته ومعناه ومنطلقاته ونشاطاته في المحيط الذي هو فيه , ومعظم البشر يولدون وتتحدد هوياتهم بأنواعها منذ الولادة , كالديانة والإسم والشكل واللون والثقافة والطباع والموروث وغيرها الكثير.

وقد يتواءم الإنسان مع ذاته وموضوعه وقد يتخاصم معهما , ولا يمكنه أن يكون سعيدا إذا دخل في تصارعات مستمرة مع ما فيه وحوله.

ومن أخطر ما يواجه البشرية بسبب معايير القيمة والتقييم , أنها وبوسائلها التواصلية الإعلامية

وواجباته وحمايته , ولديه الحق الكامل في المشاركة بتقرير مصيره ولعب دوره في بناء الحياة الحرة الكريمة

لا تلومن الآخرين لإمتلاكك , ما دمت قد إرتضيت أن تبيع نفسك وتكون رقما تحت رحمة الفاسدين!!

الإنسان يجب ان يتحسس قيمته النفسية الذاتية , لكي يساهم في التفاعلات الإيجابية والتواصلات الصالحة , الكفيلة بتعزيز الشعور بالقيمة والدور ومعنى الحياة وحرارة الوجود النابضة فيه

القيمة حالة نفسية بقائية أقوى من أية طاقة كامنة في البشر , تؤهله لإنجاز مشاريع كينونته وأسباب إبادته أو إنتحاره الذاتي والموضوعي

الكلبة التي يجعلها صاحبها تشعر بأنها بلا قيمة وأهمية تغضب , وتنبح وتتغير طباعها وملامحها وسلوكها معه , فتتحول من رؤوفة مداعبة إلى عدوانية الطباع والتفاعلات معه وربما تهجم عليه وتعضه.

الكلبة التي يجعلها صاحبها تشعر بأنها بلا قيمة وأهمية تغضب , وتنبح وتتغير طباعها وملامحها وسلوكها معه , فتتحول من رؤوفة مداعبة إلى عدوانية الطباع والتفاعلات معه وربما تهجم عليه وتعضه.

من أخطر ما يواجه البشرية بسبب معايير القيمة والتقييم , أنها وبوسائلها التواصلية الإعلامية والموجهة , تجنح نحو الأحكام المسبقة والتعميم الآثم والترويج لما يحط من قيمة الآخرين

والموجهة , تجنح نحو الأحكام المسبقة والتعميم الآثم والترويج لما يحط من قيمة الآخرين , إعتمادا على معتقد أو شكل أو لون أو عمل أو حالة فردية هنا أو هناك , وتمضي ماكنتها الفتاكة بالإمعان بتجريد الإنسان من قيمته وإنكارها لدوره وخصوصيته وثقافته وما يمت بصلة إليه , وتحسبه رقما أو شيئا أو تصمه بحالة فردية شاذة حصلت هنا أو هناك ولها علاقة بما يعتقد ويرى , كما ترى هي لا كما يرى هو.

إن توجهات الأحكام المسبقة والتعميم الآثم والتوصيم والقائم والإستهداف الظالم , والقول بتجريد الإنسان من حقوقه ومصادرة مصيره والنيل من حاصره ومستقبله , يدفع بالإنسان للدفاع عن ذاته وموضوعه , والتمسك بقيمته وقيمه ودوره في الحياة.

كما أن إشاعة سلوكيات الرفض والحط من القيمة والشك بالإنسان , كلها آليات ذات تداعيات سلبية ومدمرة للكيانات الإجتماعية والوطنية والإنسانية.

وعليه فأن البشرية عليها أن تستيقظ وتعي بأن جوهر ما تعانية من المشاكل والصراعات يكمن في تغييب قيمة الإنسان وإحتكارها , وإعتبارها حق من حقوق هذا الشعب وليست حقا لذلك الشعب , وفي زمن التعري العولمي , سيؤدي هذا الكيل المزدوج إلى تداعيات مرعبة , لا علاقة لها بدين أو معتقد أو أية صفة أخرى , إنها ذات علاقة قوية وأساسية بشعور الإنسان بقيمته أو بإنعدام ذلك الشعور , فعلينا جميعا أن نسعى لإعادة القيمة للإنسان لكي يتحقق الأمن والسلام.

إن توجهات الأحكام المسبقة والتعميم الآثم والتوصيم والقائم والإستهداف الظالم , والقول بتجريد الإنسان من حقوقه ومصادرة مصيره والنيل من حاصره ومستقبله , يدفع بالإنسان للدفاع عن ذاته وموضوعه , والتمسك بقيمته وقيمه ودوره في الحياة

أن تستيقظ وتعي بأن جوهر ما تعانية من المشاكل والصراعات يكمن في تغييب قيمة الإنسان وإحتكارها , وإعتبارها حق من حقوق هذا الشعب وليست حقا لذلك الشعب

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa310-300821.pdf

*** *** ***

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2021 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار التاسع)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 18 على الويب
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميّز"

عضوية "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي "

اهداء العضوية

- عضوية " الشريك الراسخ في العلم " (عضوية فخرية)

- عضوية "الشريك المُميّز " (عضوية الشرفية)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3